مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 10 / العـدد: 3 (2022)، ص: 63–89

العلاقة التكاملية والجدل القائم بين المصادر الأدبية والأثرية في نقل الحقيقة.

أة. طاهري خديجة[1]
[1] جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،
khad.tahari@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/05 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/09/20

ملخص:

يسعى الباحث والمؤرخ في التاريخ إلى الإحاطة بأهم الأحداث والشخصيات التي كانت فاعلة في التاريخ وربطها بالشواهد الأثرية، حيث تتكشف علاقة جدلية بين ما هو مكتوب ونقصد بذلك المصادر الأدبية وبين المصادر الأثرية تلك العلاقة التي يلفها الغموض والشك، تجعلنا نقف أمام سؤالين دأب المؤرخون على الوقوع فيه وهو صحة ما جاء في المصادر الأدبية ومقارنته بالشواهد الأثرية التي كانت في حقبة زمنية معينة، ويفيد الغوص فيتلك العلاقة في الوصول إلى الحقيقة التي تجعل من المؤرخ أو الباحث في التاريخ يتعرف على مشروعية الحكم على الحقائق التاريخية الواردة، حيث يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي جوزيف ايرنست رينان: «من طبيعة الأقوام أن يكتبوا تاريخهم بطريقة خاطئة»، لذا من الصعب في أغلب الأحيان التوفيق بين ما جاءت به المصادر والآثار التي خلفتها الأقوام السابقة وخاصة فيما يخص التاريخ القديم بحكم بعد المسافة الزمنية عن حاضرنا الذي نعيش.

كلمات مفتاحية: التاريخ، الآثار، المصادر التاريخية، الانسان، العصر القديم.

Abstract:

The researcher and the historian in the History seeks to surround the most important events and personalities who

influenced in the history, and its relation to the contents of the monuments, where there is a dialectical relationship, between the written texts and the antiquities that are mysterious in their origin, where we pause to questions about: the information contained in the sources and compare them with ancient monuments which was in a certain era of time, where it helps us to deepen the relationship to get to the truth that makes the historian, to recognize the legitimacy of the quritics the historical facts, where the philosopher and historian Ernnest Renan who says:« getting its history wrong is part of being a ntaion», There are difficulties when we want to reconcile historical sources with ancient monuments,This is because of the temporal and spatial dimension.

Keywords: History, Archeology, Historical sources, The Human, Antiquity.

***المؤلف المرسل: أة. طاهري خديجة**

1. مقدمة

تهدف هذه المداخلة إلى النظر للعديد من الإشكاليات التي تواجه الكتابة التاريخية حتى في ظل توفر المصادر الأدبية والأثرية، حيث أن للتاريخ مكانة مهمة في مجال العلوم الإنسانية، تحض بإقبال واسع خاصة في مجال تحرير الكتب التي تهتم بهذا الاتجاه، حيث لا يزال يوجد لبس بين الاعتماد الكلي على المصادر الأدبية التاريخية أو إسقاطها على الشواهد الأثرية والتي لا تعد إلا جزءا من التاريخ الكلي للشعوب السابقة، حيث هدف المؤرخون منذ بدايتهم إلى الوصول للبعد العلمي للتاريخ بعيدا عن الحقائق المغلوطة أو البعيدة عن الواقع، ومن أجل ذلك الوصول الإشكالية والجدل الواقع في البحث التاريخي بين الصادر الأدبية والأثرية في كتابة التاريخ، سوف تتم معالجتنا لهذا الإشكال عبر النقاط التالية:

العلاقة التكاملية والجدل القائم بين المصادر الأدبية والأثرية في نقل الحقيقة.

– سنستعرض العديد من الشواهد الأدبية لنخضعها للتحليل والمقارنة ومحاولة استخراج الاستنتاجات من بين السطور وربطها بالحاضر لتبقى كتب التاريخ تحمل نفس الأهمية التي طالما حملتها في المساعدة على إعادة استحضار تاريخ الشعوب

– كما سنقوم بربط الحقائق التي جاءت في المصادر الأدبية، ومحاولة مقارنتها بالآثار عسى أن نجد علاقة تكاملية بينهما، والهدف من ذلك البحث عن مقاربة في الحقائق.

– سنقوم بمقارنة بين المصادر الأدبية المترجمة باللغة الإنجليزية وتلك المترجمة باللغة الفرنسية ومدى توفيقهما في الوصول إلى الترجمة الدقيقة، فمن شأن تلك الترجمة التسهيل على الباحث الوصول إلى المعلومة التي جاءت باللغة الأصلية مع العلم أننا لا نستطيع أن نبدل المصادر باللغة الأصلية بتلك المترجمة إلى لغة أخرى، ونوضح السبب الذي يدفعنا إلى الاعتماد على تلك الترجمات

– سنطرح مشكلة نقص المؤرخين العرب بشكل عام والمؤرخين والباحثين الأثريين في جامعاتنا، والبحث في موضوع دون الآخر وتناول دراسات دون أخرى وإهمال البحوث الأثرية.

– هل يمكن الاعتماد على المصادر الأدبية دون الرجوع إلى المصادر الأثرية، وهل هي كافية للوصول إلى الحقيقة أو حتى إثبات وجود حضارة قائمة في حد ذاتها ومتكاملة بجميع نواحيها.

– هناك منهجية معينة على الباحث والمؤرخ إتباعها في البحث التاريخي، إذ أن له دورا كبيرا في إبراز الحقائق الخفية في كثير من الأحيان، وعليه سنحاول توضيح دور المؤرخ في تقصي الحقيقة للوصول لنتائج تعزز البحث التاريخي.

أهمية الموضوع: تتلخص أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

- صحة ما جاء في المصادر الأدبية ومقارنته بالشواهد الأثرية التي كانت في حقبة زمنية معينة، ويفيد الغوص في تلك العلاقة في الوصول إلى الحقيقة التي تجعل من المؤرخ أو الباحث في التاريخ في التعرف على مشروعية الحكم على الحقائق التاريخية الواردة.
- يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي جوزيف ايرنست رينان: «من طبيعة الأقوام أن يكتبوا تاريخهم بطريقة خاطئة»، لذا من الصعب في أغلب الأحيان التوفيق بين ما جاءت به المصادر والآثار التي خلفتها الأقوام السابقة وخاصة فيما يخص التاريخ القديم بحكم بعد المسافة الزمنية عن حاضرنا الذي نعيش فيه
- من أهمية هذا الموضوع أننا سندرس الإشكالية دراسة حيادية فلن نغلب طرفا على الأخر، ولن نجزم أن المصادر الأدبية مثلا هي المصدر الوحيد الذي يحوي الحقيقة، لتقصي الحقيقة واستخلاصها من تلك الكتابات، والإثبات ولو بشكل جزئي صدق تلك المعلومات.
- طرح موضوع الذاتية والموضوعية في الكتابة التاريخية وما أكثرها في عرض التاريخ السابق أو الحاضر
- المنهج المستخدم في تحرير هذا الموضوع:
- اعتمدت في عرض البحث على أسلوب الدراسة النظرية من خلال المنهج الوصفي التحليلي بالإطلاع على أهم الدراسات السابقة في هذا المجال سواء في المفهوم، الأسباب والإشكاليات السابقة والراهنة معتمدة على العديد من الكتب والمراجع التحليلية المختصة في موضوع بحثنا هذا.

2. المصادر الأدبية التاريخية

إن الحقيقة التاريخية لم تدرك ولن تدرك تامة، غير أننا يجب أن نراها من جوانب مختلفة، وعلى المؤرخ أن ينظر للحادثة التاريخية نظرة عميقة، نظرة

حيادية من خلالها يكنه تحقيق الموضوعية في تحرير الوثيقة التاريخية، إذ أن التاريخ يمثل الجزء الماضي، أما المؤرخ والباحث التاريخي يمثل الجزء الحاضر، وعليه فالحقيقة التاريخية تبقى رهن من يدونها ورهن انتماءاته.

2. 1. المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية والمحلية:

الكتابة التاريخية بالنسبة للفترة التاريخية الإغريقية والرومانية غطت فترة زمنية قدرت بالتقريب بـ 800 سنة، من هيرودوت وذلك من خلال مؤلفه التواريخ والذي كتب في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد وصولا إلى مؤلف أميانوس مرسيلينوس " الإنجازات"، والذي يتضمن تاريخه في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وبين هذين المؤرخين كان العديد من المؤلفين الرجال وقليل من العنصر النسوي قد سعوا لكتابة سجل عن الماضي عن من عاصروهم أو من سبقوهم في مجموعة مختلفة شكلا، ومن ذلك الأدب التاريخي الهائل لم يصلنا سوى الجزء الأصغر، وتمثل الأدبيات الباقية بعض العصور بشكل لا بأس به، في حين ان البعض لا يرتقي لأن يكون مصدرا أدبيا تاريخيا على الإطلاق ونخص بالذكر الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، لقد عد هيرودوت، ثوسيديد واكسينوفون من كبار المؤرخين القدامى العريقين، غير أننا في العصر الهللينيستي ل 300 سنة من وفاة الإسكندر المقدوني إلى معركة أكتيوم البحرية(323 ق 31 ق م)، نجد تواجد أكثر من 600 مؤرخ من الجانب الإغريقي، بينما يتواجد ثلاثة مؤرخين رومانيين فقط وهم: بوليبيوس ديودور الصقلي وديونوسيوس الهاليكارناسي ممن كتبوا عن ما حدث في تلك الفترة، حتى أن الرومانيين لم يعتبروهم مؤرخين من الجانب الروماني تماما، إذن الوضع بقي قاتما على حد سواء، فالإطار الكامل(للتاريخ الروماني الدقيق) والذي اعتنى به المؤرخون الرومانيون، كتب في وقت مبكر من القرن الثاني قبل الميلاد، لكنه فقد بالكامل، وجزء صغير من المؤرخين الرومانيين المقتدرين استطاعوا أن يخلدوا

أعمالهم، غير أن المهم من كتاباتهم قد فقد، حيث ضاع مؤلف سالوست " التواريخ "، كما ضاع 100 كتاب لليفي بما في ذلك جميع الأجزاء التي عاصرت تاريخه، وما يقرب من ثلثي تواريخ تاسيتيوس وكذا الحوليات، فكل تقييمنا في الواقع عن المؤرخين القدامى اعتمد على أصغر نسبة مما كتبه اليونانيون والرومانيون [1].

تتضمن مسالة التعريف بالذات في التاريخ القديم ونعطي مثلا عن الذات الإغريقية القديمة، مجموعة من متغيرات متعددة من مشاكل معقدة وغير مستقرة إلى الآن، غير أن هناك شخص يرتكز عليه تعريف الذات اليونانية من خلال مؤلفه ألا وهو هيرودوت، وصولا إلى بلوتارك، نجد في تلك الفترة الممتدة بين المؤرخين تواجد لذكر للإثنية الثقافية اليونانية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثاني للميلاد[2].

لقد تعاقبت الأزمان وتغيرت كلمة التاريخ، حيث انتقلت من اليونانية عبر اللاتينية (من اليونان إلى الرومان)، ومرة أخرى بين عصر النهضة إلى يومنا هذا، تغيرت بشكل حاسم في معناها أو بالأحرى في معانيها[3]، فإذا كان التاريخ في حقيقته هو الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيرات ، والتغيرات نتاج الزمان وسيره، خلصنا إلى أن التاريخ هو الزمان، وعليه يكون ميدان اهتمام المؤرخ على هذا النحو، حيث يدرس كل تغير كان له تأثير على حياة البشر مهما كان صغيرا أو كبيرا،

[1]John Morincola, **A Companian to Greek and Roman Historiography**, vol_2, Blackwell Publishing, USA, 2007, pp 1, 2.
[2]-Michael Bentley, **Companian to Historiography**, Routledge, USA, 1997, p 20.
[3]Ibid.

فلا توجد حادثة كبيرة وأخر صغيرة[4]، ولا داعي للخوض في التعريفات العديدة لكلمة تاريخ، إذ تعج المراجع بها في هذا السياق*.

واستنادا للرأي العام، أوعز اكتشاف التاريخ في العالم الغربي إلى الإغريق، ومع ذلك، يجب أن نعترف أن التاريخ لا يتمتع بمكانة جيدة في الثقافة اليونانية، حيث كان دوره هامشيا، من خلال مقارنة دراسة التاريخ بالأنشطة الفكرية الأخرى، أو محاولة معالجة تاريخ وجوده في التعليم والمدارس، وللبدء في ذلك يجب أن نزيل العديد من نقاط الغموض، أولا أن مفهومنا للتاريخ كما نعرف قد تطور بين القرن 18 و 19 م كنتيجة لدمج التاريخ السردي والدراسة التحليلية من العصور القديمة، حيث يختلف اختلافا كبيرا عن ذلك من طرف اليونانيين والرومان، إذ أن لكليهما جانب حيوي، لأن التاريخ سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة للقدماء هو سرد للحقائق والمقاصد، ومع ذلك يتم نقل القصة وأهداف المؤرخين المختلفة، قبل هيرودوت لم يكن هناك اهتمام بالتسلسل الزمني حتى انه لم تكن هناك مصلحة في التسلسل الزمني، فكان الإهتمام إما مطلق أو نسبي، واستغرق الأمر قرونا قبل أن يتم إنشاء نظام كرونولوجي للإستخدام العام وعلى النقيض من ذلك بالنسبة للتاريخ الحديث فهو وليد ثقافة مهووسة بالتدقيق في تسجيل التاريخ بتسلسل زمني مرتب، إذ لا نستطيع تجنب وضع الحقائق في شبكة زمنية، ثانيا حسابات المؤرخ في التاريخ القديم تميل إلى الإستيعاب وبالتالي تعرضت للإختفاء بدرجات متفاوتة عبر العصور، مع كل الوثائق المستخدمة من قبل

---

[4]- حسين مؤنس، **التاريخ والمؤرخون**، دار الرشاد، مصر، 2001، ص ص 24، 25.

*- للمزيد من التعريفات أنظر: وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ**: اتجاهات- مدارس- مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2012، ص 27، وحسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، ط2، دار المعارف، مصر، 1964، ص 11.

المؤلف، في حين أن المؤرخ في العصر الحديث على العكس من ذلك يبحث في تقديم الحقائق من الوثائق الملموسة والثابت وجودها[5].

يبذل المؤرخ جهدا كبيرا لإيصال فكره إلى غيره، من تدوين وترتيب زمني، وما يتكبده من عناء في السفر والتعب، لا يكون بمنأى عن السخرية والإنتقاد، حيث نرى عزوف الكثير من الشبان ذوي العقول النيرة عن دراسة التاريخ، باعتبارها دراسة عقيمة، لا يتحقق من خلالها نفع واضح، وأضحى مادة الهدف منه العمل بها من خلال التدريس بها في المؤسسات[6].

في هذه الفقرة سنستعرض أهم المؤرخين والمؤلفين الذين يحسبون على التاريخ القديم الإغريق منهم والرومان، حيث سنبدأ بأبرزهم:

2. 1. المؤرخون الإغريق والرومان وأهم المصادر الإغريقة والرومانية:

هيرودوت:

ولد هيرودوت في هاليكارناسوس (حاليا بودروم) في كاريا جنوب غرب أسيا الصغرى، بالتقريب في سنة 480 ق م، حيث كانت في وقتها تحت حكم ملوك الفرس الإخمينيين، كان والده ليكسيس فردا من أهم العوائل المحلية الموجودة في المنطقة، كما كان عمه بانياسيس شاعرا ملحميا إن هو سلسل عائلة أدبية، اغتيل عمه من ليغداميس، على إثرها هجر هيرودوت مسقط رأسه إلى جزيرة ساموس، سافر على نطاق واسع، ويبدوا من المحتمل أنه زار العديد من المدن والبلدان، وقدم فيها العديد من المحاضرات والدروس الأدبية، وكانت أثينا من بين أهم المدن، والتي تلقى على إثرها مكافأة كبيرة على ما قدمه من زاد معرفي[7].

---

[5]John Marincola, op. cit, p 13.

[6]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 28.

[7] Micael Grant, **Greek & Roman Historians : Information and Misinformation**, Taylor & Francis, USA, 2005, p 4.

العلاقة التكاملية والجدل القائم بين المصادر الأدبية والأثرية في نقل الحقيقة.

معظم قراء عمل هيرودوت التاريخ أو التواريخ، ولنتمعن في العنوان نجد أن للإسم في حد ذاته دافع، حيث يحثك على قراءته واكتشاف ما تحتويه صفحاته، ليس فقط في تتبع هيرودوت كشخص ولكن الطريقة التي يشير بها إلى أدبه وفكره النخبوي، وكما أطلق جاء في كتابه مصطلح التاريخ والذي عنون به مؤلفه، ففي القرن الخامس قبل الميلاد أصبح التاريخ أقرب للتدوين وارتبط ارتباطا وثيقا مع الكتابة مبتعدا عن ما كان عليه(المتداول بين الناس بطريقة شفوية)، غير أن مفهوم التأريخ والذي نقصد به صنعة كتابة التاريخ بعيدا عن فهم هيرودوت، فبالنسبة له لم يكن التاريخ موضوع دراسة أو مادة للكتابة والكتابة عنه بقدر ما كان أداة فكرية ونشاط تواصلي، والإرتباط به ليس عن طريق الرسم والتخطيط ولكن عن طريق فكرة لفظية أخرى[8].

ألف هذا العمل ليقرأ بصوت عالي، وهذا ما كان يفعله مع جمهوره المتابع له، يحتوي على قسمين رئيسيين، الأول يحكي عن بدايات صراع طويل الأمد بين الغرب والشرق، أصل وتوسعات الإمبراطورية الفارسية والخلفية التاريخية للأراضي اليونانية مع إشارة خاصة لأثينا واسبرطة، الجزء الثاني والأطول يتعامل فيه مع تاريخ الحروب الفارسية، غزوات اليونان عام 490 ق م، داريوس الأول والتي بلغت ذروتها في معركة ماراثون، وغزو البلاد بعد عشر سنوات من قبل اكسيركسيس، مشيرا إلى معركة ثيرموبيلاي، أرتيميسيوم، سلاميس وأخيرا بلاتيا أو بلاتيه 479 ق م، يعتقد هيرودوت أن هذه الأحداث والتي تسببت بالإضطرابات، الأكثر أهمية في تاريخ العالم آنذاك، حيث صور الأحداث بشكل ملفت للإنتباه، ولكن لم يكن ذلك سوى انعكاس ونظرة موجهة عن العالم اليوناني منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد فصعودا، من خلال صب كمية هائلة من المعلومات

[8] Egbert J. Bakker, Irene J.F. de Jong and, Hans van Wees, **Brill's Companion to Herodotus,** Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands**,** 2002, p 4.

مغلفة ببراعة فريدة من نوعها وعرضها من قبل المؤلف في قالب متكامل أخذ دوره فيه كمستكشف، مراقب ومستمع، يعكس تنوع الأدوار مع تعدد الأحداث التي جرت في تلك الفترة التي غطاها في مؤلفه، وحسب المعلومات التي جاءت في كتابه نجد أنها جميعها قد حدثت قبل 443 ق م، ومع ذلك فعمله يحتوي على تلميحات للمراحل المبكرة من الفترة البيلبونيزية والحرب بين أثينا واسبرطة(431-404 ق م)، على الرغم من وجود معلومات من مصادر خاطئة، لقد تمكن هيرودوت من تحقيق إنجاز رائع من إيجاد ليس فقط النثر اليوناني الذي كتب بأسلوب واضح ورشيق -مع تميزه في بعض الأحيان بالدهاء- ولكن أيضا حقق إنجازا هائلا من خلال تتبع شي من التسلسل الزمني، ومع ذلك وفي نفس الوقت، دفعت روحه الراسخة بدون هوادة من تحقيق تدفق متتابع لا نهاية له من الحكايات المشوقة، الغريبة والخيالية في بعض الأحيان، حيث جعلت منه الكاتب الأبرز من بين المؤرخين القدامى[9].

بالإضافة للتاريخ الطويل بين الشرق والغرب أي بين الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والإغريق، تضمنت كتاباته الإشارة للعديد من البلدان والمدن منها مصر، وبلاد المغرب القديم، والعديد من الأقوام والأجناس البشرية وذلك كله في ثمانية أجزاء.

ثوسيديد:

يحتمل انه ولد بين 460 و455 ق م، ابن اولوروس كان أثينيا بالرغم من ان اسمه تراقي والذي ترك له علامة مميزة في تراقيا، في مكان يدعى سكابت هيلي، كان يعيش في أثينا أثناء نشوب الحرب البيلبونيزية بين أثينا واسبرطة سمة 431 ق م، في عان 424 ق م وكنتيجة للإنتخابات أصبح واحد من عشرة جنرالات أثينيين لذلك العام، حيث أعطيت له قيادة الأسطول الأثيني في شمال بحر إيجة،

[9] Michael Grant, op. cit, p 5.

ربما بسبب صلاته بمنطقة تراقيا، غير أنه أثبت على أنه غير قادر على انتزاع مفتاح المدينة المقدونية أمفيبوليس من يد القائد الإسبرطي براسيداس، وعلى إثرها طلب العودة إلى أثينا، أين خضع للمحاكمة وحكم عليه بـ 20 سنة في المنفى، وخلال إبعاده سافر إلى مناطق واسعة وشكل عددا كبيرا من الاتصالات، وبعد أن هزم الأثينيون على يد الإسبرطيين في نهاية المطاف في الحرب البيلبونيزية سنة 404 ق م، سمح له على ما يبدوا بالعودة إلى أثينا ويعتقد أنه مات سنة 400 ق م وليس بعيدا عن فترة الحرب البيلبونيزية، فمؤلف الحرب البيلبونيزية لا يتعامل مع كامل فترة الحرب لأنه يتوقف في نهاية سنة 411 ق م، لكنه يعتبر في الأساس شيء جديد حيث اعتبر تاريخا معاصرا لتلك الفترة، والجدير بالملاحظة أن هناك إشارة إلى فترات من الماضي والخمسين سنة الأخيرة من البينتوكنتايتياي، ومع ذلك فهو لا يهتم بالتاريخ بشكل عام المعاصر منه أو السابق، ولكنه اختار مثل هيرودوت التأريخ لحرب وأصر على الحرب البيلبونيزية لا الحرب الفارسية التي تناولها هيرودوت، إذ كانت الحرب الأكثر شهرة في تاريخ العالم القديم كله فإن وجد تحيز لن يمنعنا من القول أن هذه الحرب كانت بداية التشنج القاتل الذي أنبأ بانهيار بأكمله لهيكل الدولة المدينة والحضارة التي كانت السمة الرئيسية لليونان الكلاسيكية، هدف ثوسيديد لأن يكون عمله مفيدا حيث كان عالما اجتماعيا إذ سعى باستمرار لاستنتاجات عامة للمبادئ الأساسية والحقائق الأبدية من أحداث وأفعال معينة والتي كان يهدف من خلالها مع نظرة عميقة إلى جعل المعرفة عن الأحداث الماضية مفيدا، وتكهنات كانت دليلا على قدر كبير من التوفيق للمستقبل أي كانت تكهناته للمستقبل موفقة إلى حد كبير، بالرغم من قلقه بشكل أساسي من الحرب، كان تحليلاته للمجتمع اليوناني في أوجه حذرة وغير مسبوقة، مشتقة من أسلوبه ومن ذكائه الإستثنائي وهذا سبب ثاني في أن تاريخه مهم وبشكل دائم، لقد كان أذكى وأعمق في التفكير من جميع المؤرخين، كان من بين العينات التي

توفق بين العلوم والأدب وذلك يمنحه التفرد حيث يخرج من دراسته النفسية التي تكرس لتحليل الجماهير والجماعات وكذلك الأفراد، أسلوبه الأدبي المميز بالرغم من اختلاف النغمة إن صح التعبير سواء في الدرجة أو الوتيرة، تخللت كتاباته أحاسيس من المرارة، جاذبية قاسية، شدة، السرعة، الحدة والقساوة، الكم والهدوء والذي هو مطلوب لهذه المهمة، ورغم تقديمه العديد من الصور الحية بقي هذا النمط من الكتابات صعبا من أن يكون سهل القراءة أو أن ممتعا، إذ أنه لم يتجاوز أسلوبه الأدبي حد الكمال في وقت لاحق، غير أن عمله وصف بأنه الخطوة الأطول والأكثر حسما من أي وقت مضى من قبل رجل واحد، لجعل التاريخ ما هو عليه الآن، ومع كل أخطائه وفق المعايير الحديثة، كانت رؤيته أكثر واقعية وكان أكثر مسؤولية اتجاه هذه الحقائق جعلت منه مسؤولا ومخلصا لتاريخه من أي مؤرخ قديم آخر وقد وضع على رأس المؤرخين القدامى من طرف الثورة الرومانسية[10].

ومع ذلك لم يكن موضوعيا كما كان لنا أن نعتقد وهناك كثير من الأمثلة تؤكد ذلك وعلى سبيل المثال: إظهاره لكراهية اتجاه رجل الدولة كليون، وعلى ما يبدوا بسبب أسباب شخصية ، حيث يقال أن كليون المحرك الأساسي للدعوة ضد ثوسيديد الذي أدت إلى نفيه في وقت لاحق، إذ كان يرسم عمله استنادا تجربته الشخصية في الجيش[11].

إكسينوفون:

ولد بالتقريب سنة 428 ق م، كان والده غريلوس الذي ينتمي لعائلة أثينية رائدة، وفي الأصل كان في شبابه خطيبا، قاتل في الحرب البيلبونيزية، حيث رافق سقراط وأعجب به، انضم لجيش قورش الصغير الشقيق الأصغر للملك الإخميني

[10]Ibid ; pp 6, 7.
[11]- Susan Sorek, **Ancient Historians**, Continuum International Publishing, USA, 2012, p 34.

أرتاكسيركسيس الثاني الملقب بـ منيمون، والذي هزم وقتل في معركة كوناكسا في بلاد ما بين النهرين، كتب اكسينوفون مؤلفا تحت عنوان هللينيكا تاريخ اليونان ومثله أنابازيس والتي كانت أكثر عما من سابقتها وهي المسيرة إلى البلد أو الصعود تحكي تجاربه قبل وبعد كوناكسا ومؤلفه البيولوجي أغيسيلوس أو أجيسيلوس كان هو أيضا عملا رائدا، كما ألف سيروبيديا سيرة قورش الكبير مؤسس الإمبراطورية الفارسية الإخمينية ومراحل نشأته منذ الولادة إلى وفاته، ودستوره الموجه للاكيديمونيين الإسبرطيين، وكتب عن الفروسية أو الخيالة في الجيش، وهيباركيوس اتفاقه مع فرقة الفرسان التابعة للدولة، وكانت أخر كتاباته عن الصيد، وبالرغم من أن اكسينوفون شخصية متعددة المواهب كانت قدراته كمؤرخ محدودة وبشكل واضح ليس فقط بأسلوبه البسيط المفهوم بل بمشاركته الفعالة في تلك الأحداث وبنشاط كبير وليس غير معلوم، خاصة في كتابته لأنابازيس والتي كانت قصة مثيرة ليحكيها بشكل واضح ومثير للإعجاب وهو أمر يستحق التميز الأدبي، ويستحق الإمعان فيه بسبب مواقفه التي تعكس صراعات اليوم الإمبريالية مقابل الحكم الذاتي الهلينية مقابل القومية، العامة مقابل الإلتزامات الخاصة[12].

بوليبيوس:

ولد في ميغالوبوليس في أركاديا تقريبا سنة 200 ق م، كان والده ليكورتاس من ملاك الأراضي الأغنياء وكان من المقربين من زعيم العصبة الآخية فيلوبويمن التي كانت تعتزم القتال بجانب الرومانيين خلال الحرب المقدونية الثالثة ضد ملك مقدونيا بيرسيوس، لكن عدم ثقة الرومان بهم جعلهم يرفضون مشاركتهم في الحرب، كان معلما للإبن الأصغر لسكيبيو الإفريقي آيميليوس بولوس من خلالها تمكن من البقاء في روما بدل بلده إيطاليا في عام 151 ق م غادر مع سكيبيو

[12] Michael Grant, op. cit, pp 8, 9.

لإسبانيا وشمال إفريقيا، ولكن في السنة الموالية سمح له ولـ 300 شخص بالعودة إلى اليونان بعد اندلاع الحرب البونية الثالثة أنضم إلى سكيبيو مرة ثانية في إفريقيا وكان حاضرا عندما تم تدمير قرطاج، شهد مع سكيبيو القبض على متمردي نومانتيا في إسبانيا سنة 133 ق م، بعد حوالي 15 سنة أو أكثر من هذا التاريخ يقال أنه سقط من على حصانه ومات، كتب 41 مؤلفا في التاريخ نجا منها الخمسة الأوائل وأجزاء متفرقة على هيئة شذرات، اختلف أسلوبه عن هيرودوت وثوسيديد إذ لم يبالي بالأسلوب الأدبي، ولم يتبع النموذج الأدبي لتوضيح وجهة نظره، وعليه لا ننظر في مؤلفاته على الأدبيات بل نرى لغة رسمية لمراسيم ورسائل والأطروحات الفنية حول الفلسفة والعلم، كان بوليبيوس رجلا فعال، غير أن نمط كتاباته تميز بالتكرار والكآبة إن صح التعبير، غير أن التاريخ عنده بارز وذو أهمية، كان عمله ذو أهمية إذ وصف بأنه صانع عهد جديد في التأريخ للعصر الهللينستي، حيث كان أول من يكتب التاريخ وفق الطريقة المنهجية، حيث كانت الممالك الهللينية في آخر عهدها غير قادرة على إلهام رؤى عالمية عن التاريخ اليوناني بسبب الإنحطاط، حيث مال الوضع بشكل متزايد لسياسة التوازن بين القوى العظمى، حولت نظرة بوليبيوس إلى روما كمركز لتاريخ البحر الأبيض المتوسط، حيث برزت روما للعالم اليوناني من خلال تدمير قرطاج بعد حدس تيماوس بشأن بروز روما كقوة، تميز بالعبقرية في تنظيم التاريخ العالمي من خلال مؤلفه، وهذا الأمر محسوب عليه هو فقط، حيث انتهج الأسلوب العملي في كتابة التاريخ مع العرض الماهر للتاريخ الروماني الذي لم يكن له مفر من كتابتها، والتي كانت الأحداث الوحيدة التي كان حري به أن يسجلها إذ أنها الأحداث الوحيدة التي كان معاصرا لها لذا هو بجانب ثوسيديد في معاصرته للأحداث فكمثيله حاول أن يقدم عملا مفيدا لغيره وذا قيمة، إذ خلص بان التاريخ الذي يعاصره هو الجدير بالتدوين، حيث هدف من خلال عمله بأن يكون بمنأى عن التحيز كان قادرا أيضا

على إدراك الأمور الأساسية والحيوية لتطورات الأحداث المعاصَرة، لقد أبدع وكان صريحا، بدون كتابات بوليبيوس لا نعرف عن القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد إلا القليل، وما قدمه لنا سجل ملحوظ من نمو السلطة الرومانية[13].

قيصر:

يوليوس قيصر غني عن التعريف، فكما هو رجل حركة ورجل حرب، فإنه كان رجل أدب، كان متعدد المواهب بشكل ملفت للإنتباه، اعتبر مؤلفه عن الحرب الغالية من أهم أعماله والتي تميزت بأنها في فترة كان قد عاصرها وكان جزءا منها بكونه قائدا للغزو على غاليا، وهي من الحروب الرومانية المهمة، تكمن أهمية هذا المؤلف في توفر ليس فقط المعلومات المهمة حول الأحداث العسكرية والعمليات العسكرية وكيفية تخطيطها، بل حول مختلف الناس الذين يعيشون في المنطقة المناوئة، كما كتب الحرب الأهلية بمراحلها الثلاث، بالرغم من أن عمله هذا يشبه مؤلفه السابق إلا انه يقدم الأحداث من وجهة نظر قيصر ولا نغفل على أنه مليء بالمعلومات القيمة، تميز أسلوب كتابته في كلا العملين بالنقاء والوضوح والإبتعاد عن التنميق، دقيق وذو كم معلوماتي، في إلقائه بسيط ولكنه مختار بعناية، وقد حاز هذا النمط من الكتابات على إعجاب المهتمين بالأعمال التاريخية في وقت لاحق، ذو نمط أنيق ومتجدد[14].

سالوست:

أقدم تواريخ كاملة بقيت سليمة عن الحياة في روما والأحداث التي حدثت في تلك الفترة هما المؤلفان المكتوبان من طرف الجنرال الروماني سالوست كريسبوس(86- 35 ق م) في العقد التالي لوفاة يوليوس قيصر في 44 ق م وهما مؤامرة كاتيليلنا وحرب يوغرطة أو الحرب اليوغرطية، فحص من خلالهما

[13] Ibid, pp 9-11.
[14] Ibid, pp 12, 13.

التغييرات السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي عصفت بروما منذ سنة 133 ق م إلى 63 ق م، بين انهيار إصلاحات أل غراكوس وصعود قيصر، وجه سالوست خيبة أمله وغضبه من الوضع الروماني في ذلك التاريخ، لدراسة الأمراض السياسية التي مست الجمهورية الرومانية في سنوات بدايات انهيارها، بالرغم من أنه تميز ببصيرة سياسية أقل بالمقارنة مع أسلوبه الأدبي، غير أنه ترك علامة فارقة حول الطريقة التي ينظر بها القراء لأعماله[15].

بالرغم من أنه قد سعى لجعل كتاباته علمية وعملية، إلا أنها تفتقر للدقة والموضوعية، إلى حد أنه كان جديرا بأن يكون مؤرخا وصفيا، ومع ذلك لديه العديد من الأحداث التي كتب عنها بعيدا عن وصفها، حيث اكتشف أسلوبا يناسب طبيعة كتاباته، وأقام إرادته على اللغة اللاتينية بصورة حادة، كانت أوصافه عبارة عن انطباعات لكنها كانت محترفة وقوية[16].

تيتيوس ليفيوس:

ذكر تيت ليف في مقدمته أن الميزة الرئيسية للتاريخ هي تقديم نموذج يستطيع القادة الإقتداء به أو تجنبه، على النقيض من بوليبيوس الذي ركز على مؤسسات الدولة، حيث سجل عن شخصيات يحدد من خلالها إما النجاح الفشل، شهرة ليفي نبعت من مؤلفه ab urbe condita من كتاب تأسيس المدينة والذي بدأ في تكوينه حوالي سنة 29 ق م لكنها فقدمت في أغلب أجزاءها وبقيت الأجزاء التي تغطي الفترة الممتدة بين 753 ق م إلى 243 ق م و 210 إلى 167 ق م (X و I و XLV و XXI)، والذي بقي من الأجزاء الأخرى ما هو إلا مقتطفات، كان القريب للوصول إلى التوقعات، لإنتاج تاريخ مقروء عن روما، وقد جادل شيشرون بأن التاريخ الروماني لا يمكن مقارنته بالتاريخ الإغريقي لان يفتقر

[15] Ibid, p 13.
[16] Ibid, p 14.

إلى جاذبية العرض، لقد تميز أسلوبه بتدفق المعلومات السهل وترتيب جيد للكلمات بشكل مثالي مع إيقاع جميل للجمل التي تتضمن الأحداث، كان ليفي موردا للغة والأسلوب، حيث يعتقد شيشرون أنه جيد خاصة من ناحية التسلسل الزمني، والوصف الجغرافي، والتفسير الشمل للأحداث والسياسات، أعيب عليه لأنه لم يكن مفسرا في معالجته للتفاصيل التاريخية أو حتى للأسباب التي كانت وراء مختلف الأحداث، وبدل ذلك استخدم العاطفة والخيال وتصوير المشاعر الإنسانية على حد سواء في خطاباته وكتاباته، كان أسوأها منهجية للتاريخ على عكس النهج العملي لبوليبيوس[17].

كورنيليوس تاسيتيوس: (7/56 – 117 م)

أعظم مؤرخ أنجبه العالم الروماني، حيث تم الإعتراف بأنجازاته على الفور إذ قال عنه زميله في مجلس الشيوخ الروماني"تواريخك ستكون خالدة"، وهو كذلك، غير أنه لم يحظى بشعبية لدى المسيحيين من العصور القديمة المتأخرة، صاحب حوليات وتواريخ وهي من بين أعظم المؤلفات الأدبية والتاريخية، كل يدين ببقاء مخطوط له في العصور الوسطى، لكن اكتشاف أعماله في عصر النهضة كان له الأثر الرجعي الهائل على تلك الفترة، حيث كان له كل التأثير في إظهار سوء النفوذ غير العادي للقرون الأخيرة عبر تفسيره حول فقد الحرية تحت حكم الأباطرة أمثال خوليو كلاوديان والإمبراطور فلافيان، لكتابه ميزتان الأولى تاريخية والثانية أخلاقية، حيث جعلت القراء يتأثرون بكتابته، غير أن البعض أساء إليه خاصة المسيحيين، إذ وصفوه بأنه غير أخلاقي ومعاد للسامية وعدو الملوك، حيث هاجم نابليون كتباته، وقام بقذفه عدة مرات، حتى أن العلماء واجهوا صعوبة في تحكيم محتوى المؤلف إن كان جيدا أم سيء، وكان من سخف المديح أو ذم أن ظهرت أحكام وإدانات ملفتة للنظر، وحتى بعد1900م بقيت قلة قليلة ممن

[17]- Susan Sorek, op. cit, pp 105, 106.

يقرأون له على عهدهم لا يتأثرون بكتاباته المستفزة ومحتوياته المزعجة في نظر المعادين له إن صح القول[18].

أصبح خطيبا في سن العشرين سنة 75 م، غير أنه تحول من الخطابة والسيناتورية إلى التاريخ في المقام الأول كهروب من السنوات الرهيبة التي كانت تحت حكم دوميتيان، وكما فعل بوليبيوس، كان يعتقد أن التاريخ لا يكتب من طرف أناس عاديين بل ينبغي أن يكتبه سياسيون ذو خبرة، يمكنهم تقيين الدوافع وكذا تقييم الوثائق، ولكن كخطيب ناجح عرف كيف يؤثر على المنصتين له، كان هدفه ذو شقين الأول نفعي والثاني لتخليد الذاكرة التاريخية، اعتقد أن التاريخ يمكن أن يخيف الطغاة من خلال إخضاعهم لحكم الأجيال القادمة[19].

نشر موجزا عن زوج والدته أغريكولا مبديا إعجابه به، والذي كان حاكما لفترة طويلة لمقاطعة بريطانيا، هذا الكتاب الذي يحتوي على خطابات وتوقعات، شكلت هذه الكتابة بداية سيرته، وصنف مؤلفه في خانة السير الذاتية في التاريخ الروماني، وليس بعيدا عن مؤلف أغريكولا، ألف عمله جيرمانيا عن أصل الأرض الجرمانية عبارة عن دراسة إثنوغرافية حية من العصور القديمة، كما صنف أيضا غي خانة الكتب الجغرافية إذ أنه يصف جرمانيا والعادات الإجتماعية والتنظيم السياسي والمعتقدات الدينية، والقبائل، لا يوجد دليل على زيارة تاسيتيوس لألمانيا، ويرجح أن استقى معلوماته من خلال مؤلفات قيصر وبيليني، كما ألف التواريخ، وهو عمل تاريخي روائي كبير عن كل من الأباطرة الرومان فلافيان، فيسباسيان، تيتوس ودوميتيان غطت الفترة من 69 م إلى وفاة دوميتيان في اثني عشر كتابا، بقيت أربعة منها كاملة والجزء الخامس كمخطوطة، إذن حوالي ثلث العمل ولكن لا يغطي اثنين من ثمانية وعشرين سنة، كما كتب

[18] Ibid, p 125.
[19]Ronald Mellor, The Roman Historians, Taylor & Francis e-Library, USA, 2002.,p78

الحوليات التي تناول فيها تاريخ تراجان وعهد خوليو كلاوديان، وحكم تيبيريوس 14 م- 37 م، وكلاوديوس 41 م – 54 م وكاليجولا37 م-41 م[20].

أميانوس مارسيلينوس (330-395م) :

على مدى 250 سنة من تاسيتيوس كانت الكتابة التي يمكن أن نصبغها بالواقعية ونخص بالذكر تلك التي كتبت باللغة اللاتينية، قد فقدت، حيث دعا الإمبراطور تاسيتيوس 275-6 والذي ادعى أنه من نسل المؤرخ تاسيتيوس لنسخ 10 نسخ من كتب سلفه سنويا لكي لا يفقد عمله خشية من إهمال القراء، في حين أن كل من ديون كاسيوس وأريان وأبيان، هيرود، ديكيسبوس وآخرون كثر كانوا قد كتبوا باللغة الإغريقية، أم تلك التي كتبت باللغة اللاتينية فانخفض مستواها وأصبحت لغة السير التاريخ القصير والمعروف باستمرار أو ملخصات كتاب مثل ليفي وتاسيتيوس كانت طموحه تهدف إلى إكمال ما انتهت به كتابات تاسيتيوس من سنة 96 م والمضي قدما حتى نهاية الأحداث الذي جرت في ذلك الوقت، كانت خطته أن ينتهي عمله بموت جوفيان 364 م، حرر عمله في صورته النهائية في 25 كتابا، على الرغم من فقدان 13 كتابا فعليا في القرن السادس ميلادي، حيث فقدت المقدمة الأصلية لكنه كتب مقدمة للكتاب الخامس عشر أين بدأ التأريخ للفترة التي كان يعيشها عام 355 م، بحسب الباحثين لم يكتب أميانوس تاريخا قصيرا ودليل ذلك تغطيته لتلك الفترة الطويلة، تناول فترة حكم جوليان في الفترة من 353 إلى 378 م، وقصة وفاة فالنس وهزيمته في أدريانوبل سنة 378 م، عد عمله من أفضل الأعمال التي تميز بها القرن الأول للميلاد.[21]

2.2. علاقة الكتابة التاريخية بالمصادر الأثرية:

[20] Ibid, 78-80, 83.
[21] Iibd, pp 112- 114

لقد أدى العطش إن صح التعبير للمصادر الأدبية التاريخية إلى اتجاه المؤرخين والباحثين الكلاسيكيين إلى الحفريات والآثار، وعلى سبيل المثال آثار بلاد ما بين النهرين، حيث يعتبر علم الآثار من العلوم الحديثة، والسؤال هنا يطرح نفسه حول: لماذا من المهم دراسة الثقافة المادية للشعوب السابقة أو حتى في عصرنا هذا في ظل توفر المصادر الأدبية التاريخية التي تحكي عن عصور مختلفة، للبحث عن المواقف المختلفة من طرح ما[22]؟

دراسة الثقافة المادية للحضارات المختلفة أعتبر كوسيلة لتوسيع التاريخ القائم على النص، وهو التقليد الأكثر انتشارا في مجال الآثار التاريخية في يومنا هذا، ظلت القطع الأثرية مرتبطة ارتباطا وثيقا تأريخ التاريخ حتى تأسيس علم الآثار الحديث، لتعتبر القطع الأثرية بعد ذلك الرسوم التوضيحية للتاريخ البشري والتي كانت معروفة تماما من خلال النصوص التاريخية ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر أنشئت مدارس وحدها لدراسة النصوص وخاصة لدراسة التاريخ السياسي مستبعدين ارتكازهم على الشواهد الأثرية في هذا المجال، ووضعت التاريخ السياسي في المقام الأول من خلال دراسة الأحداث الكبرى ،الشخصيات والأفكار، فكان الدور التاريخي للآثار في القرن التاسع عشر يعتمد على الدراسات الطبوغرافية للأرض التي كانت مسرعا لهاته الأحداث السياسية والتاريخ المبكر للمختلف الشعوب، ولكن بدرجات متفاوتة تفتقر لوجود النصوص الكافية هذا الإشكال أرجع لعلم الآثار مكانته خاصة عندما اتجه الباحثون للدراسة لحل الإشكال حول الحالة الاجتماعية والاقتصادية والتطور الثقافي والتكنولوجي إن صح التعبير لتلك المواقع الأثرية، كما كانت قضية التاريخ الكلاسيكي للهند مبنيا على التاريخ الشفوي الذي تناقله الشعب الهندي عبر

[22]Anders Andren, Between Artifacts AND Texts: Historical Archaeology in Global Perspective, Translated by Alan Crozier, Springer Science+Business Media, USA, p107.

الأجيال وكذا الفترات المبكرة من التاريخ اليوناني رغم أنها وثقت عن طريق الكتابة لكن بقيت تحمل الصفة الشفهية كم في إلياذة ريغفيدا الهندية أو عن طريق الأوصاف الإثنية التي جاءت في كتابات الغريبين عن تلك البلدان، حيث يعمل علم الآثار كامتداد للتاريخ بغرض استكمال المعلومات الغامضة الواردة في النصوص القديمة، لكتابة التاريخ كما هو معروف عن التاريخ السياسي أو الديني في كثير من الأحيان مع التركيز على الجماعات العرقية، وعليه بقي الاعتماد المكثف لعلم الآثار بجانب الاستعمال النسبي والدقيق للمصادر الأدبية التاريخية بقي معمولا به منذ القرن العشرين، في الحقيقة هذا العلم موجه للتاريخ المبكر للشعوب، في حين أن الآثار التي عثر عليها من تاريخ لاحق تركت لمؤرخي فن الهندسة المعماري[23].

2. 3. المصادر المترجمة ومقارنتها بالمصادر الأصلية:

لقد دأب المترجمون للتطلع للخوض في ترجمة المصادر الأدبية التاريخية من لغتها الأصلية سواء الآرامية أو الإغريقية واللاتينية وحتى العربية إلى لغات مختلفة أبرزها الفرنسية والإنجليزية والألمانية، حتى أنهم تعدوا إلى ترجمة الكتب الدينية مثل القرآن، الإنجيل، التوراة، وكتب الدين مثل الأفستا، هنا نقف على أن معالجة النص الأصلي ليس معناه أن ندقق في معناه العرقي بقدر ما سندقق في معانيه ودلالاته، وطغيان النهج المعجمي وإقصاء التعمق في مفردات النص[24].

تبقى للنص التاريخ الأصلي قيمته ما دام بعيدا عن الترجمة لكي لا يفقد محتواه، إلا إن حول بكل مصداقية لما حملته معانيه ودلائله، قد يراد من النص المترجم أن يأخذ منحا أخر يفقد فيه استقلاليته ليصبح تابعا لما يراد منه، وهنا الترجمة واحدة من أهم الدلائل الخطيرة التي يفقد فيها النص الأصلي روحه، فينه وبين عصرنا هذا فارق كبير جدا، إن تركت بدون ضوابط وبالتالي تؤدي بالمصدر

[23] Anders Andren, op.cit, pp 120-121

[24]- نادية محمود مصطفى، المداخل المنهاجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام، ج3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مصر، 1996م، ص 142.

إلى قول ما ليس فيه، وانتزاعه من بيئته الأصلية والإتيان به في عصر يخضع لعدة مذاهب واتجاهات أدبية وتاريخية وحتى سياسية[25]، وهنا يفقد النص الأصلي قيمته من خلال النقاط التالية:

– الإبتعاد عن المفاهيم والمعاني التي تأتي ما وراء السطور في النص الأصلي والمقاصد التي يريد من خلالها المؤرخ إيصال أفكاره، إذ أن هذه عقلية المؤرخ الأصلي تختلف عن مفاهيم عصرنا هذا إذ أن كتابته نتاج حقبة زمنية وجغرافيا فقدت في بعض الأحيان بتغير الزمان والمكان.

– من ناحية المنهجية فمنهجية النص الذي كتب في زمن سابق تختلف كل اختلاف عن منهجية عصرنا هذا، حيث يخضع للتحليل بحسب مجريات العصر لا بحسب زمن كتابة النص، فمثلا إسقاط المنهج التجريبي في دراسة النص لقصور الدراسة في العلوم الإجتماعية خاصة في دراسة الحياة البشرية.

– الموضوعية تلك المشكلة التي تتطور كل لحظة خلال ظهور دراسة ما أو إنتاج عمل في مختلف الميادين، أو حتى تطال الترجمة للنصوص عبر العصور، فهذا المنهج يدعو لعدم التحيز لكن لا مفر منه إن كانت هناك دراسات إستشراقية لنعطي مثالا عن التاريخ الإسلامي الذي هو مليء بالمغالطات نتيجة الدراسات الإستشراقية فيه، فاستخدام الموضوعية مهم في نقل الحقائق.

– المدارس وعلاقتها بالنص التاريخي، لها كل العلاقة إذ أن لها دورا في تفسير الأحداث التاريخية مخضعة إياها للأحداث المحيطة والداخلية وأبعاد سياسية ودينية، تنتج عنها دعايات مغرضة، لا يمس تأثيرها السيئ في بعض الأحيان، سوى المصدر الأصلي الذي نعتبره مادة خام.

وعليه من الأفضل الاعتماد على النص الأصلي للمؤلفات الأدبية واللغة الأم التي جاء بها ذلك أنه لكل زمان لغته ومسرحه السياسي والتاريخي، وما الترجمات

[25]- نفسه، ص 146.

إلا لتسهيل وتذليل بعض العقبات لنا خاصة أم أولئك الذين لا يجيدون اللغات الأصلية(الآرامية، الإغريقية، اللاتينية والعربية)، لتترجم للغات العصر الإنجليزية والفرنسية، بالرغم من أنها تفقد في بعض الأحيان قيمتها إثر التناقل اللغوي، فكما تفقد الرواية الشفوية قيمتها بتداولها عبر أزمنة مختلفة، تفقد اللغة الأم قيمتها في الترجمات المتعددة، وعليه لكل مجال اختصاص ومجال الترجمة التاريخية، يجب تواجد أهل الاختصاص الذين يمتازون بالموضوعية والحيادية من تحقيق الترجمة الأمثل.

3. البحث التاريخي ومعوقاته:

3. 1. الباحثون العرب والغرب ومعوقات نقص المصادر الأدبية التاريخية المحلية:

إن الدارس للتاريخ المحلي للعالم العربي والمغرب، لا يمكنه أن يستشف إلا القليل من مصادره المحلية والتي معظمها لقى أثرية، إذ أن قضاياه المتعلقة بالمصادر الأدبية التاريخية لا زالت قائمة ولم يحسم الجدل بعد فيها، وتزداد المشكلة تفاقما كلما صببنا دراستنا في التاريخ الاجتماعي، الذي بقي يفتقر للقوة والاهتمام من طرف الباحثين العرب، وهذا مما يجعل المقبل على تقصي الحقائق من النصوص التاريخية المحلية أن يقع في فراغ مهول، وإن وجدت فليس بلغتها الأصلية وعلى سبيل المثال مجموعة وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة والتي تحتوي على آلاف الوثائق عن التاريخ المالي و الإداري لمصر في العهد العثماني وفي عهد محمد علي نجدها مدونة باللغة التركية[26].

أما بالنسبة لبلاد المغرب القديم فقد نشطت الكتابات لكتاب محليين وشعراء من خلال تواجد الرومانيين بشمال إفريقيا، إذ أن البلديات الرومانية قد فتحت مدارس لتعليم القراءة والكتابة والحساب، ثم دراسة الأدب والفلسفة،

[26]- حسن عثمان، المرجع السابق، ص 28.

حيث أنجبت مدرسة مداوروش القديس اغسطينوس، حيث برزت عدة أسماء لكتاب أفارقة كتبوا باللغة اللاتينية والإغريقية أمثال الشاعر مانيليوس والفيلسوف كرنتيوس، والخطيب فلوروس خطيب ثم مؤرخ، وفرونتيوس القرطي، لكن بيقى أبوليوس، تورتيليانوس وأغسطينوس من أهم الكتاب الذين ذاع صيتهم[27].

مع هذا تبقى المصادر المحلية قليلة وتكاد منعدمة خاصة تلك التي تؤرخ للتاريخ المحلي للمنطقة وإن وجدت فبلغات غير اللغة المحلية وحول حضارة لا تمت للمنطقة بصلة، عادة ما كانت حضارة المستعمر، كما حدث مع المؤرخين الإغريق الذين حتمت عليهم الظروف أن يكتبوا وهم متواجدون تحت رحمة الرومانيين.

لا يكتب التاريخ جزافا ولا تعليمه يعتبر مضيعة للوقت، وليس كل من يكتب التاريخ يصبح مؤرخا مثلما قد يتصور البعض، فعلى الباحث أن يتوخى الحذر في اختيار مصادره، إذ أن الأمر يكاد أن يكون غير مستطاع في بعض الأحيان في ظل ضياع الأدلة وطمس الآثار، إن الباحث إن قام بدراسة التاريخ، لن يجد الوقائع والحوادث بين يديه مباشرة، إذ عليه السعي والبحث سواء في النصوص أو أثريا فالعلمان لا ينفصلان عن بعضهما فكل موجود يحمل بين طياته أسرار حوادث وخفايا التاريخ، فالبعض متأثر بعصر السرعة، يميل إلى كتابة دراسة متسارعة كأنه يسابق الزمن في إتمام عمله كله على حساب المعلومة والحقائق التي يجب أن تستنبط بشكل دقيق وفق مناهج مفاهيمية عميقة، وعليه يبقى نقص المصادر المحلية وطغيان المصادر الأدبية التاريخية الغربية سبب تواجد صعوبات دراسة التاريخ المحلي لكل منطقة عبر العصور، كما يبقى عزوفنا عن دراسة اللغات مثل

[27]- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1992م، ص121.

الإغريقية واللاتينية، وعدم تخصيص مدراس لها قائمة بحد ذاتها في بلداننا عكس البلدان الأجنبية، أو معاهد متخصصة في الترجمة بهذه اللغات، لما اتجهنا إلى المصادر المترجمة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، للأسف هذا حال عصر السرعة الذي نعيش فيه.

3. 2.. دور الباحث في إظهار الحقيقة:

من خلال هذا العنصر نبين أخلاقيات الباحث التي عليه أن يلتزم بها في دراسته للتاريخ والشروط اللازم توفرها فيه كم نعرج على العلوم المساعدة في دراسة التاريخ:

يجب على المؤرخ أن يكون ذو ثقافة معرفية مطلعا وعارفا للعلوم التي تتصل بدراسة التاريخ وكتابته والتي تسمى بالعلوم المساعدة والتي تختلف باختلاف العصور التاريخية القديمة، عصر النهضة أو تاريخ الثورة الفرنسية، واللغات من أهم العلوم المساعدة خاصة اللغات الأصلية، لان الترجمات التي تكفي لتحصيل الثقافة العامة لا تفيد حاجة المؤرخ المنهجية المفاهيمية التي تساعده على فهم المقصود الذي يريده[28].

من المسائل التي تواجه الباحث التاريخي هو اختيار الموضوع المناسب لتطلعاته، حيث ينبغي عليه أن يمشي وراء غاياته من الدراسة التاريخية التي هو بصدد تحريرها، يجب أن يتحلى الباحث بملكة النقد الحذر و والشك في المعلومات التي وردت في النصوص التاريخية، إذ أن الكثير من الباحثين استعملوا تلك النصوص دون نقد وتمحيص وهو أمر ليس باليسير لأنه يستغرق زمنا ليس بالقصير، عدم الوقوع في النقد الهدام الذي ينساق وراءه الباحث نتيجة رأي ما

[28]- حسن عثمان، المرجع السابق، ص ص 25، 26.

جاء في متاب مؤلف ما، ويتجنب عوامل الانخداع والوقوع في الخطأ، وعد الحكم بصفة سريعة[29].

الموضوعية والتي تعد ركيزة مهمة في كتابة بحث تاريخي، وعدم الانحياز، والأخذ بمقاصد المؤلف ونقدها وتمحيصها واستنباط الرأي الأنسب والأوضح الذي يبين فكر الباحث وتوجهاته، إذ أن الانسياق وراء العاطفة والانحياز لطرف، من شأنه أن يوقع الباحث في مغالطات وارتكاب الأخطاء، وتجنب أخطاء السابقين.

لقد حققت الكتابات والدراسات مسارا تاريخيا مهما ولا سيما تلك التي مست الحقبة القديمة، وعلى الرغم من تلك الدراسات في التاريخ، لا يزال يتطلب المزيد من الجهود للمقاربة في الحقائق.

ومن العلوم المساعدة في دراسة التاريخ: نذكرها على شكل عناصر:

- اللغات- الخطوط والوثائق، الأختام، النميات أو علم المسكوكات، الجغرافيا، الأدب، فن العمارة والنحت، العلوم الإجتماعية، والعلوم الطبيعية، تلكم أهم العلوم[30].

[29]- نفسه، ص 126.

[30]- نفسه، ص 25.

خاتمة

لإزالة اللبس الحاصل بين المصادر الأدبية التاريخية والمصادر الأثرية نجد أن العلمان لا ينفصلان عن بعضهما البعض، ومكملان لبعضهما، إن أردنا ان يكون بحثنا أو دراستنا ذات ثقة وعمق، لا بد من تقصي الحقائق من كلا المصدرين، وإخضاع المعلومة للمقارنة والنقد، من شأنه أن يأتي بمردود موضوعي وكم معلوماتي مفيد، فالجدل القائم بين المصادر الأدبية التاريخية والشواهد الأثرية محصور بين الباحثين محدودي الفكر والمفاهيم، والذين ألفوا أبحاثا إن صح التعبير مقتضبة لا ترقى لأن تكون دراسة يعتد بها في المجال التاريخي فهذه دراسة متسارعة، فعلى الباحث أن يوفق بين قدرته على استخراج الحقائق من النصوص ومثيلتها الأثرية، فالنصوص التاريخية تمثل التاريخ السياسي والأحداث التاريخية أما الآثار فتحدد الموقع، الحالة الاجتماعية والاقتصادية وحتى الحياة الدينية لتلك المجتمعات والإثنيات من خلال دور العبادة، فالذي لم تأتي به المصادر الأدبية التاريخية تكمله.